﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ [طه: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـلـقّـي الأمـر بالذّهاب لدعوة فرعون، وتخوّفُ الـرّسـولَـين من أذاه وطغيانه

بعد أن أمر اللّهُ كلًّا من موسى وهارون، بالذّهاب إلى فرعون، وأرشدهما إلى استعمال اللّين في مخاطبته، مع أنّه "في غاية الجبروت، وكان حاله حالَ من يهلكهما إلّا أن يمنعهما اللّهُ ... ، جاءت هذه الآيةُ لبيان حالهما منَ الخوف من طغيانه وجبروته؛ فتوجّها إلى الله بقولهما: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَخَافُ﴾: (خوف) أَصْلٌ يَدُلُّ على الذُّعْرِ والفَزَعِ، يُقالُ: خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وخيفَةً، والياءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ واوٍ لِمَكانِ الكَسْرَةِ، ويُقالُ: خاوَفَني فُلانٌ فخُفْتُهُ، أَيْ: كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ[2]، والتَّخْويفُ والإِخافَةُ: الإِفْزاعُ والإِرْهابُ[3]، وضِدُّه: الأَمنُ، وقيل: أَصْلُ الخَوف النَّقْصُ، يُقال: تَخَوَّفْناهُم، أي: تَنَقّصْناهُم، وناقَةٌ خَوْفاءُ، أي: ناقِصَةٌ بِها داءٌ[4]، والمقصودُ بالخَوفِ في الآيةِ: تَوَقُّعُ حُصولِ ما تَكْرَهُهُ النَّفْسُ، وهوَ ضِدُّ الأَمنِ.

2) ﴿يَفْرُطَ﴾: (فرط) أَصْلٌ يَدُلُّ على إزالَةِ شَيءٍ مِنْ مَكانِه وتَنْحيَتِه عَنْهُ، يُقالُ: فرَّطْتُ عنه ما كَرِهَهُ، أَيْ: نَحَّيْتُهُ، والفَرَطُ والفارِطُ: الَّذي يسْبق الواردَة إلى الحَوْضِ لِلشُّرْبِ[5]، وتَكلَّمَ فُلانٌ فِراطًا: إذا سَبَقَتْ منهُ بَوادِرُ الكَلامِ، وأَفْرَطَ في الأَمرِ: عَجَّلَ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 291.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوف).
(3) الخليل، العين، الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خوف).
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (فرط).

وأَفْرَطَتِ السَّحابَةُ بِالوَسْمِيِّ: عَجَّلَتْ به، وأَفْرَطْتُ القَوْمَ: إذا تَقَدَّمتَهُم وتَرَكْتَهُم وراءَكَ[1]، والمراد بـ ﴿يَفْرُطَ﴾ في الآيةِ: يُعَجِّلُ ويَسْبِقُ، أي: نَخافُ أَنْ يُعَجِّلَ بِعِقابِنا بِالقَتْلِ أَوْ غَيْرِه مِنَ العُقوباتِ، قَبْلَ أَنْ نُبَلِّغَهُ ونُحِجَّهُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيّنت هذه الآيةُ شكوى موسى وهارونَ وتضرّعَهما إلى ربّهما قائلَين: ربَّنا إنَّنا نخافُ مِن فِرعونَ أن يُعجِّلَ بعُقوبتِنا قبلَ أن نَدعوَه إلى ما أمَرْتَنا به، أو أن يتكبَّرَ ويتمرَّدَ على طاعتِك[3].

الطُّغاة والجبابرة لا أمانَ لهم ولا عهد

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصل هذه الآية، عمَّا قبلها:

فُصل قولُه تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ عن سابقه؛ للاستئناف البيانيّ[4]، لما بينهما من شِبه كمال اتّصال، فكأنّ سؤالًا قد وُجِّه تعقيبًا على أمرهما بالذّهاب إلى فرعونَ، على الهيئة المذكورة في الآيات سلفًا، تقديره: (فماذا قالا بعد أن أُمِرا بذلك؟) فكان الجواب: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

ملمحُ الاستئناف البيانيّ، موفٍ بالمقصود في السّياق

دلالة التّعبير بالقول، والتّثنية:

دلّ التّعبير بالقول ﴿قَالَا﴾ على حصول حوارٍ بين الرّسولَين الكريمين وربّهما، وكان من ثماره طلبُ العون منه على بطش فرعون، فالخبر هنا محمولٌ على الدّعاء والطّلب، وعبَّر بضمير التّثنية في قوله: ﴿قَالَا﴾ لجواز أن يكون القولان حاصلَين منهما، أو أنه كان مع موسى ﷺ بالأصالة ولهارون ﷺ بالتّبعيّة، أو أنّه عبّر بالتّثنية

الخبر في معنى الطّلب والدّعاء، وتضرّع موسى وهارون كان معًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرط).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 227.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 76، والواحديّ، التّفسير الوجيز، ص: 696، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 506.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 509.

تغليبًا، ويجوز أن يكون هارون ﷺ قد قال ذلك بعد اجتماعه مع موسى ﷺ، فحُكي قولُه مع قول موسى عند نزول الآية، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: 51]، فإنّ هذا الخِطاب قد حُكيَ لنا بصيغة الجمع، مع أنّ كلًّا منَ المخاطَبين لم يخاطَب إلَّا بطريق الانفراد[1]، وجوِّز كونُهما مجتمعَين عند الطّور، وقالا جميعًا هذا القول المذكور في الآية[2].

سِرّ التّعبير بالرّبوبيّة ﴿رَبَّنَآ﴾ دون الأُلوهيّة:

التّعبير باسم الرّبوبيّة هنا أنسَبُ؛ لأنّ المقامَ مقامُ دعاءٍ وطلبٍ للعناية منَ الله تعالى لهما؛ لحمايتهما من طغيان فرعون وبطشه.

العناية والرّعاية من خصائص الرّبوبية المُنعِمة

دلالة التّعبير بقوله: ﴿إِنَّنَا﴾ دون (إنَّا):

أجاب البقاعيّ عن علّة التّعبير: ﴿إِنَّنَا﴾ بالإظهار دون الإدغام، بقوله: "لمَّا كان مضمونُ إخبارِهما بالخوف مع كونهما من جهة الله، من شأنه أن لا يكون وأن يُنكَر؛ أكَّدا فقالا مُبالِغَين فيه بإظهار النّون الثّالثة، إبلاغًا في إظهار الشّكوى؛ ليأتيَ الجَبْرُ على قَدْر ما يظهر منَ الكسر[3].

الشّكوى إلى الله من طغيان فرعون، لجوءٌ إلى مَن يجير ولا يُجار عليه

دلالة التّعبير بالخوف في قوله: ﴿نَخَافُ﴾:

عبّر القرآن الكريم بالخوف في قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾، دون غيره على لسان موسى وهارون ﷺ؛ لأنّ الخوف يكون عند توقّع حصول مكروه فيما هو آت، ولمَّا كان فرعون معروفًا بالجبروت والطّغيان؛ فقد توقّعا منه إيذاءَهما وإيقاعَ السّوءِ بهما.

الخوف توقّعُ مكروهٍ في المستقبل، وأشدُّه الخوفُ منَ الظّلم

سِرّ التّعبير بالفعل ﴿يَفْرُطَ﴾ دون غيره:

عبّر القرآن الكريم بالفعل ﴿يَفْرُطَ﴾ دون غيره كـ (يَعْجَل)؛

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 509.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 16/ 196.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 291.

لوجود فرقٍ بينهما، يقال: فرَط بمعنى تعجَّل الشّيء وبادر إلى إزالته قبلَ تمامِه، ومقتضى هذا أن يكون بعد بَدءِ الشّروع فيه، كما أنّ غايتَه تنحيةُ الشّيء إعراضًا عنه وبغضًا، وأمَّا العجلة: فتعني "طلبَ الشّيءِ وتحرّيَهُ قبلَ أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة"[1]، فاختلفا في الغاية والأسلوب، وعلى هذا، يكون المراد من شكواهما: الإعلانَ بموقف فرعون عند سماع كلامهما منَ المبالغة والمبادرة في منعهم من عَرْض ما يريدون عَرْضَه، وهذا هو المناسب للمعنى اللُّغويّ لمادة (فرط)؛ فالفَرَط معناه: أن يُعجّل علينا ولا يتأنّى في سماع قولنا، بل يُعجّل بالعقوبة ويبادرنا بها.

الطَّاغية سريعُ الانتقام، وكلّ ظُلمٍ فهو حرام

دلالة التّعبير بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يَفْرُطَ﴾:

أوثِر التّعبير بالمصدر المؤوّل - أن والفعل المضارع - في قوله: ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ دون المصدر الصّريح؛ توقّعًا منهما ﷺ أن يطول عقابُ فرعون لهما، ويتجدّدَ ويتكرّر ويتنوّع، لا أن يكون ثابتًا، وقد يتفنّن في أنواع العقاب؛ لأنّه طاغيةٌ لا يخاف رّبه، توهّمًا منه أنّه الرَّبُّ.

مراعاةُ الزّمن في وقوع الحدث، من بليغ التّعبير

دلالة تعدّي الفعل ﴿يَفْرُطَ﴾ بـ (على):

دلّ تعدّي الفعل ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ بـ ﴿عَلَيْنَآ﴾ المفيدة للاستعلاء، على تضمُّن ﴿يَفْرُطَ﴾ معنى: (يعتدي)، وأيضًا فإنّ التّعبير بـ ﴿عَلَيْنَآ﴾ يدلّ على تمكُّن فرعون منَ المبالغة في أذى موسى وهارون ومعاقبتِهما؛ لبطشه وجبروته، واستكباره بجنوده.

بين الاعتداء والاستعلاء تناسبٌ، من حيثُ المبالغةُ والتّجاوز والتّطاول

دلالة التّعبير بـ ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾:

﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ لمنع الخلوّ[2]، فالمتوقّعُ من هذا الطَّاغية أحدُ الأمرَين، إن لم يكن كِلا الأمرَين.

(1) الرّاغب، المفردات: (عجل).

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 355.

سِرّ التّعبير بـ ﴿أَن﴾ مع الفعل ﴿يَطْغَىٰ﴾:

تكرار النّاصب؛ للإشارة إلى أنّ الخوف واقعٌ من الحالين

أتى التّعبير القرآنيّ بـ ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾، مع استقامة المعنى - في الظّاهر - بدونها؛ لإظهار كمال الاعتناء بالأمر، والإشعارِ بتحقّق الخوفِ من كلٍّ منهما[1].

دلالة التّعبير بلفظ (الطّغيان) دون (التّكبّر):

الطّغيان أثرٌ للتّكبُّر، وهو مترتّب عليه

أوثِرَ التّعبير بالطّغيان دون التّكبّر في قوله: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾؛ لكون الطّغيان أثرًا للتّكبّر[2]، وهما يخشيان وقوعَ أثرِ الكِبر عليهما، وهو الطّغيان والتّعدّي بالإهانة، وما هو أعلى منها، وليس الكبرُ نفسُه.

دلالة ذِكر ﴿أَن يَطْغَىٰ﴾ بعد ﴿أَن يَفْرُطَ﴾:

الانتقالُ من الأشدّ إلى الأضعف، مسلكٌ في البيان مفيد

ذكَرَ القرآن الكريم الطُّغْيانَ بَعْدَ الفَرْطِ في قوله: ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾؛ إشارَةً إلى أَنَّهُما لا يُطيقانِ ذَلِكَ، فهوَ انْتِقالٌ مِنَ الأَشَدِّ إلى الأَضْعَفِ؛ لِأَن ﴿نَخَافُ﴾ يؤول إِلَى مَعْنَى النَّفي، وفي النَّفْي يُذْكَرُ الأَضْعَفُ بَعْدَ الأَقْوَى، بِعَكْسِ الإِثْباتِ، ما لَم يوجَدْ ما يَقْتَضي عَكْسَ ذَلِكَ[3].

دلالة حذف متعلّق الفعل ﴿يَطْغَىٰ﴾:

غاية الحذف رعاية الفاصلة، ودلالة السّياق على المحذوف

حُذِف متعلّقُ الفعل ﴿يَطْغَىٰ﴾، فلم يقل: (يَطْغَى علينا) كما سبق في ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾؛ لدلالة قوله: ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ عليه، فلم يبق ثمّتَ داعٍ لإعادته، "وَأوثِرَ الحَذْفُ -أيضًا - لِرعايَةِ الفَواصِلِ، والتَّقْديرُ: (أَوْ أَنْ يَطْغَى علينا).

ويُحْتَمَلُ أَنَّ مُتَعَلَّقَهُ لَيْسَ نَظيرَ المَذْكورِ قَبْلَهُ، بَلْ هوَ مُتَعَلِّقٌ آخَرُ، لِكَوْنِ التَّقْسيمِ التَّقْديريِّ دَليلًا عليه؛ لِأَنَّهُما لَمَّا ذَكَرا مُتَعَلِّقَ ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾، وكان الفَرْطُ شامِلًا لِأَنْواعِ العُقوباتِ حَتَّى الإِهانَةِ بِالشَّتْمِ؛

(1) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 3/ 93.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 227.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 227.

لَزِمَ أَنْ يَكونَ التَّقْسيمُ بِـ ﴿أَوْ﴾ مَنْظورًا فيه إِلَى حالَةٍ أُخْرَى، وهيَ طُغْيانُهُ على مَنْ لا يَنالُهُ عِقابُهُ، أي: أَنْ يَطْغَى على اللّه بالتَّنْقيص؛ كَقَوْلِه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: 38]، وقَوْلِه: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: 38]، فحُذِفَ مُتَعَلِّقُ ﴿يَطْغَىٰٓ﴾ حينَئِذٍ لتنزيهه عَن التَّصْريحِ بِه في هَذا المَقام، والتَّقْديرُ: أو (أَنْ يَطْغَى عليْكَ) يا ربّنا، فيَتَصَلَّبَ في كُفْرِه، ويَعْسُرَ صَرْفُهُ عَنْهُ، وفي التَّحَرُّزِ مِنْ ذَلِكَ غَيْرَةٌ على جانِبِ اللّه تَعالَى، ومراعاةٌ لحُسْنِ الأدب معه، وفيه أَيْضًا: تَحَرُّزٌ مِنْ رُسوخِ عَقيدَةِ الكُفْرِ في نَفْسِ الطَّاغي، فيَصيرُ الرَّجاءُ في إيمانِه بَعْدَ ذَلِكَ أَضْعَفَ مِنْهُ فيما قَبْلُ، وتِلْكَ مَفْسَدَةٌ في نَظَرِ الدّينِ[1].

وممَّا يُذْكَر في سِرّ عدم ذِكْر متعلّق: ﴿يَطْغَىٰٓ﴾ كما ذُكِر في قوله: ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾، قولُ الطّيّبيِّ: "لم يُذْكَر متعلّق ﴿يَطْغَىٰٓ﴾، وهو: (عليك)، بمعنى: القول فيك بما لا ينبغي، وذُكِر متعلّق ﴿يَفْرُطَ﴾، وهو ﴿عَلَيْنَآ﴾؛ لأنّ معرّته عائدةٌ إليهما؛ إجلالًا للّه وتَهيُّبًا من عِزّته، واستزادةً لرَأفته، واستنزالًا لرحمته، وذلك أنّ الجاهل باللّه وبرسوله يُخاف منه على الرّسول بالإفراط في التّكذيب، أو في العقوبة، وعلى اللّه سبحانه بما لا ينبغي منَ القول فيه، ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]"[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 227، 228.

(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 178.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»